الفصل الثالث عشر

تأملات فى الحركة الطلابية (١)

تمثل الحركة الطلابية منذ أواخر ستينات القرن العشرين ظاهرة عالمية تبعث على الاهتمام بوصفها أحد أشكال العمل السياسى · ففى كثير من الدول عبرت هذه الحركة عن معارضتها للماضى : فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث لا نجد تقاليد تاريخية راسخة للنشاط السياسى للطلاب ، وفى بعض الدول الأوربية حيث نجد النشاط السياسى للطلاب يرتبط منذ فترة مبكرة بأهداف الحركات الراديكالية ومذاهبها · وهناك سمتان هامتان تميزان الحركة الطلابية المعاصرة : الأولى دعواها بأنها حركة سياسية مستقلة ، وهذا ما يبدو واضحا فى لغتها وأفكارها وعلاقاتها الوثيقية بمختلف قطاعات الحركة الراديكالية · أما السمة الثانية فهى اهتمامها (أى حركة الطلاب) ببناء وديناميات الجامعة ذاتها · ولقد دفعت هاتان السمتان بعض العلماء الى مناقشة فكرة وجود « وعى طلابى » يمكن أن يشبه من وجوه عديدة « الوعى الطبقى » لدى العمال الصناعيين خلال القرن التاسع عشر · ولقد ذهب عالم الاجتماع الفرنسى ألان تورين Touraine الى أن هناك تماثلا واضحا بين الطلاب والعمال · ففى الجامعات الفرنسية الكبيرة الحجم ـ وفى جامعة كجامعة نانتير Nanterre حيث تواجه عزلة اجتماعية ـ أصبح الطلاب يشكلون جماعة متميزة تشبه فى بعض الوجوه العمال الصناعيين فى المصانع الرأسمالية المبكرة ، فضلا عن أن ثمة تشابها بين المعتقدات التى يؤمن بها الطلبة الآن والتصورات اليوتوبية التى آمن بها الاشتراكيون الأوائل · ويواصل تورين Touraine

---

(١) Reprinted with minor revisions, from the **Universities Quarterly**, 22 (4) (September 1968).

تدعيم وجهة نظره ، ذاهبا الى أن الجامعات فى كل الدول المتقدمة تكنولوجيا قد أصبحت أحدى « القوى الأساسية فى عملية الانتاج » ، بحيث يمكن القول ـ فى ضوء هذا التصور شبه الماركسى ـ أن الطلاب قد ورثوا الدور الذى كانت تلعبه البروليتاريا(٢) · وباستطاعنا أن نجد أفكارا مماثلة ـ ولكن من منظور مختلف ـ عند هيربرت ماركيوز Marcuse الذى تأثر الى حد كبير برايت ميلز Mills فى تأكيده أن الطبقة العاملة الصناعية ـ وخاصة فى مجتمع الاستهلاك والوفره كالولايات المتحدة ـ قد فقدت رغبتها وقدرتها على احداث تغييرات راديكالية ، وأن دورها الثورى القديم قد وقع الآن على كاهل المثقفين الشباب الذين يمثلون عموما طلبة الجامعات · وفى مقال حديث يحاول ماركيوز توضيح وجهة نظره قائلا ؛ انه لا يعتقد بان الحركة الطلابية المعاصرة تمثل قوة ثورية ، ولكنها (أى الحركة) تعد عنصرا ـ داخل المجتمع الأمريكى ـ قد يتحول الى قوة ثورية بالتحالف مع الجماعات المسحوقة وعلى الأخص الزنوج(٣) ·

والواقع أن الخبرة الأمريكية والتفسيرات التى قدمها المفكرون الأمريكيون لها كانت أحد العوامل الهامة التى أدت الى ظهور تصور جديد للدور السياسى للطلاب · أما فى أوربا فان الحركة الطلابية قد نشأت ونمت من خلال اليسار الجديد ، بمعنى أنها تطورت من خلال عملية احياء الراديكالية التقليدية التى تشكلت فى سنة ١٩٥٦ نتيجة لمعارضة العدوان الثلاثى على مصر ، وتمرد العمال البولنديين والمجريين، ومعارضة المثقفين لنمط الحكم الستالينى · وفى نفس الوقت ظلت الحركة الطلابية حريصة على العلاقات القوية التى أقامتها مع الحركات العمالية والاشتراكية ذات التقاليد الراسخة · أما فى الولايات المتحدة فان الطلاب

---

(٢) Alain Touraine, " **Naissance d'un mouvement étudiant?**", Le Monde, 7 and 8 March 1968.

(٣) **The May Movement : Revolt and Reform** (New York, 1971). Herbert Marcuse, " Das Problem der Gewalt in der Opposition ", in **Psychanalyse und Politile, PP. 546.**

هم الذين أسهموا الاسهام الأكبر فى تشكيل اليسار الجديد ، والمشاركة فى حركة الحقوق المدنية ، والدفاع عن الثورة الكوبية ، ومعارضة الحرب الفيتنامية · والملاحظ أن الحركة الطلابية فى الولايات المتحدة قد اكتسبت ثقتها بنفسها ـ فكريا وسياسيا ـ من خلال عملية النقد الراديكالى للمجتمع الأمريكى ، ذلك النقد الذى شنه الجيل السابق من المفكرين خلال فترة المكارثية · ويتعين علينا توضيح هـذا الموقف بشىء من التفصيـل : فالولايات المتحدة لم تشهد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حركة عمالية سياسية ، ولم تعرف حزبا راديكاليا شعبيا يمكن أن يكون مصدرا لحركة راديكالية جديدة · ويصدق ذلك أيضا على الفترة التى أحس فيها كثير من الأمريكيين بعدم الارتياح لسياسة حكوماتهم الداخلية والخارجية · وكنتيجة لذلك بـدأ الطلاب الجامعيون يقومون بدور بارز فى التعبير عن عدم الرضا عن السياسة الحكومية ، ثم المعارضة فيما بعد · ولقد ظل الطلاب الجامعيون يشكلون عنصرا هاما فى الحركة الراديكالية (حتى بعد ظهور حركة الزنوج المسلحة) ، ومصـدرا للأفكار النقدية · وفضلا عن ذلك نجدهم يتولون قيادة المظاهرات الجماهيرية ويلعبون دورا أساسيا فى التأثير على السياسة القومية من خـلال تأييدهم لمرشحى المعارضة وخاصة خلال حملة رئاسة السيناتور ايوجين مكارثى McCarthy .

ويمكننا تفسير التأثير العـالمى الذى تمارسه الحركة الطـلابية الأمريكية فى ضوء الدور السـياسى الذى تلعبه فى الولايات المتحدة ، فضلا عن أن الطلاب الأمريكيين كانوا أول طرف متصارع داخل الجامعة ذاتها كما يتمثل ذلك فى « حركة الخطابة الحرة فى بيركلى » التى تأسست فى سنة ١٩٦٤ · بيد أن هذا التأثير لم يكن ليظهر الى حيز الوجود لو لم توجد عناصر مشتركة فى موقف الطلاب فى معظم الدول الصناعية · فمن ناحية نجد ظروفا سياسية عامة : النتائج العالمية لحرب فيتنام ، والصراع بين الأجناس كما يتجلى فى الولايات المتحدة وكمـا يوجـد فى الدول الصناعية الأخرى وعلى الصعيد الدولى متمثلا فى العلاقة بين الدول الغنية البيضاء والدول الفقيرة الملونة ، فضلا عن ظهور مواقف سياسية

تحول دون التعبير عن الاستياء الجماعى وعلى الأخص فى بعض الجامعات ذاتها : النمو المضطرد فى أعداد الطلاب ، وكبر حجم الجامعات ، وظهور جيل جديد أكثر ميلا للنقد والتذمر ، فضلا عن استمرار الادارة الجامعية التسلطية أو الأبوية على الأقل بالنسبة لبعض الدول الأوربية ٠

ولو افترضنا قبول الآراء التى تميل الى تأكيد المضمون السياسى للحركة الطلابية فى الولايات المتحدة ، ووجود ظروف عديدة تدعم موقف الحركات الطلابية فى بعض الدول الصناعية ، فاننا لن نستطيع بسهولة قبول الفكرة الذاهبة الى أن الحركة الطلابية ـ على المستوى العالمى ـ تمثل الوريث أو الابن التاريخى للحركة العمالية ٠ اذ أن هناك اختلافات كبيرة بين الحركة العمالية (المبكرة والحديثة) والحركة الطلابية ٠ فمن ناحية نجد الطلاب لا يشكلون جماعة مقهورة أو مستغلة داخل المجتمع ٠ حقا قد يوجد فى بعض الدول أو الجامعات قدر من الاستياء نتيجة للظروف الاقتصادية السيئة للطلاب ، وقلة الخدمات التى تقدم لهم ، وعدم الرضا عن علاقاتهم بالاساتذة والاداريين ، فضلا عن عدم ارتباطهم لطبيعة النظام الجامعى ذاته ٠ لكننا اذا ما وضعنا الطلاب الجامعيين فى اطار المجتمع ككل ، وجدناهم يشكلون جماعة متميزة ٠ فهم يأتون ـ بصفة عامة ـ من أسر تنتمى الى الطبقتين الوسطى والعليا ، وبعد تخرجهم من الجامعة يستطيعون الالتحاق بمهن تحقق لهم دخولا اقتصادية عالية نسبيا ٠ أما الضغوط التى قد يخضعون لها داخل الجامعة فهى ـ فى أسوأ حالاتها ـ ضغوط هينة اذا ما قارناها بتلك التى يخضع لها العمال داخل المصانع ٠ واذن فموقف الطلاب أفضل بكثير اذا ما قارناه بموقف العمال الصناعيين، والزنوج فى أحيائهم الحضرية المتخلفة ، والفلاحين فى الدول النامية ؛ وأن من العبث تصور عكس ذلك ٠ ومن ناحية أخرى نجد الطلاب لا يشكلون غالبية السكان ٠ وهكذا نجد أن تصور ماركس والاشتراكيين الأوائل عن « ثورة الغالبية الساحقة » لايكاد ينطبق على الطلاب ٠ وكأقلية صغيرة لا يتوقع الطلاب أن يقوموا بما هو أكثر من مجرد التشخيص الراديكالى لظروف المجتمع ؛ بعبارة أخرى أن ينفذوا الوظيفة التقليدية التى يقوم بها المثقفون الراديكاليون؛ أو أن يتحالفوا مع الجماعات الاجتماعية الآخرى فى

أطار حركة اجتماعية أوسع · وفى كثير من الدول حاولت الحركة الطلابية اقامة تحالف اتخذ أشكالا عديدة : ففى الولايات المتحدة تحالفت الحركة الطلابية مع الزنوج والجماعات الفقيرة ، وفى فرنسا وألمانيا الغربيةتحالفت مع نقابات العمال ؛ وان لم يحقق التحالف الأخير نجاحا يذكر · ولا يمكن تفسير هذا الفشل فى ضوء عدم توافق أو الانسجام الايديولوجى بقدر ما يمكن تفسيره فى ضوء المواقف الاجتماعية المتباينة للجماعات المختلفة · فالزنوج والعمال الصناعيون يشكلون جماعتين تعبران عن مصالح معينة وتمارسان بالفعل نضالا يوميا ؛ أما الحركة الطلابية فهى تمثل ـ أساسا ـ تعبيرا عن حركة نقدية فكرية أخلاقية للمجتمع · ان هـــذه النشاطات المتميزة (أى النقد الراديكالى والصراع حول المصالح المادية) قد ارتبطت فيما بينها وتبادلت التأثير والتأثر كما يوضح ذلك بجلاء تاريخ الحركة العمالية من ناحية والنظرية الماركسية من ناحية أخرى · بيد أن العنصر الأساسى فى كل الحركات الراديكالية الدائمة يتمثل فى الخبرات الواقعية المعيشية التى تحياها الطبقات المقهورة أو المستغلة · وأخيرا فان الطلاب ـ على خلاف كل من العمال والفلاحين وأفراد الجمـــاعات العرقية ـ يفتقرون الى العضوية المستقرة والدائمة · اذ أن فترة الدراسة الجامعية تبلغ فى المتوسط أربع سنوات ومعنى ذلك أن الطالب يشغل وضعا مؤقتا ولايحتل مكانة دائمة داخل المجتمع · ولكل هذه الاعتبارات فان من الصعب اعتبار الحركة الطلابية المعاصرة حركة راديكالية ذات دعائم مستقرة ·

وبرغم كل ما سبق فان بالامكان تفهم المصالح الاجتماعية المتميزة التى تمثلها الحركة الطلابية اذا ما أخذنا فى اعتبارنا نقطتين هامتين · أما النقطة الأولى فهى أن الطلاب يعبرون بوضوح شـديد عن اســتياء وطموح الشباب ككل ؛ أى أنهم (أى الطلاب) يمثلون « طليعة » حزب « شبابى » ان جاز لنا استخدام هذا التعبير · ولدينا حـول هذه النقطة شواهد عديدة من مصادر مختلفة · فالحركة الطلابية ـ وعلى الأخص فى الولايات المتحدة ـ تبدو وكأنها استمرار ـ ولو بشكل جزئى ـ للتمرد غير السياسى الذى قام به الشباب خلال الخمسينات ؛ ذلك التمرد الذى تجسد فى أفلام وحياة جيمس دين James Dean. · أما النقطة الثانية فهى

أن هناك دلائل تشير الى وجود ثقافة معاصرة خاصة تميز الشـــباب ؛ وهى ثقافة تتجاوز حدود الحركة الطلابية سواء داخل الدولة الواحدة أو على مستوى عالمى وذلك بفضل تكنولوجيا وسائل الاتصال · أما أسباب الاختلاف أو الصراع بين الأجيال فهى ليست واضحة تماما ، على الرغم من أن هناك عوامل هامة تؤثر فى هـــذا المجـــال مثـــل سرعة التغير التكنولوجى ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة نسبة الشباب داخـــل الهرم السكانى بالنسبة لبعض الدول · وعلى أية حال فان بالامكان القول ان ثمة روحا جديدة تنتشر فى مختلف أنحاء العالم ·· لكن هذه الروح تختلف عن تلك التى ظهرت خلال فترة مضطربة من التاريخ الأمريكى فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، والتى أشار اليها راندولف بورن Bourne فى مقالاته عن « الشـــباب والحيـــاة Youth and Life حيث عبر عن احساسه بزيادة التناقض بين الامكانيات الجديدة للسعادة الانسانية من ناحية ، والتهديد بالحروب التدميرية من ناحية أخرى · ويبدو هـــذا التناقض أوضح ما يكون الآن ؛ ذلك أن انجازاتنا التكنولوجية قد تخلع عن اليوتوبيا طابعهـــا الخيـــالى (كمـــا أشـــار الى ذلك ماركيـــوز Marcuse)(٤) ، فى الوقت الذى تجعـــل الدمار الشـــامل أمرا ممكنا · ولقد عبر الشباب من خلال الحركة الطلابية عن احساسهم العميق بهـــذا التناقض ، وبدا ذلك واضحا تماما فى شعاراتهم التى تطالب « بممارسة الحب لا شن الحرب » ·

ويمكننا التعرف على العلاقة الوثيقة بين الحركة الطلابية من ناحية وثقافة الشباب بمعناها الواسع من ناحية أخرى من خلال بعض المواقف

---

(٤) " Das Ende der Utopie ", in **Psychanalyse und Politik**, PP. 69 - 78.

والواقع أن وجهـــة نظـــر ماركيـــوز Marcuse تعد ـ من زاوية أخرى ـ يوتوبية فعلى الرغم من أن اليوتوبيا قابلة للتحقيق تكنولوجيا واقتصاديا ، الا أن الشىء غير المؤكد هو ما اذا كان يجب تطوير العلاقات الاجتماعية الضرورية للمحافظة عليها فالمجتمع القائم على المساواة قد يؤكد أهمية الخصائص الانسانية التى قد تكون « متخلفة » ان جاز استخدام هذه الكلمة كما هو الحال بالنسبة لخاصيتى التعقل والاعتدال · وفضـــلا عن ذلك فاننـــا ما نزال نفتقر الى المعرفة الدقيقة للظروف التى من خلالها تستقر العلاقات الاجتماعية الجديدة كما هو الحال بالنسبة لنظام « التسيير الذاتى » فى المصانع اليوغوسلافية ·

الخاصة • فخلال تمرد مايو ١٩٦٨ فى فرنسا ـ مثـلا ـ نجح الطـلاب فى جذب العمال الصناعيين الشباب الى حركتهم ، بينما ظلت نقابات العمال بعيدة عن الموقف ككل • وأعتقد أن من الخطأ القول هنا بأن الهوة بين الأجيال قد تؤدى الى ظهور أية توجيهات سياسية جديدة ، أو أن من المحتمل ظهور حزب سياسى يعبر عن الشباب فى مقابل حزب آخر يمثـل الفئة الأكبر سنا • ان مرحلة الشباب مرحلة مؤقته ـ شأنها شأن مرحلة التعليم الجامعى ـ بحيث لا تشكل ظرفا كافيا لتشكيـل حركة سـياسية دائمة • وهناك شواهد عديدة تشير الى أن عدم ارتباط الأفراد بالتنظيمات السياسية المستقرة فى بعض الدول الصناعية قد يتخذ شكل التعاطف مع الحركات والأحزاب السياسية الجـديدة المستندة الى الروابط العرقية واللغوية والثقافية ، وذلك من خلال احياء نزعات قومية مختلفة كما هو الحال بالنسبة للزنوج الأمريكيين ، والناطقين بالفرنسية فى كندا • ومن الطبيعى أن تكون الروابط بين ذوى القومية الواحدة أقوى من تلك التى توحد ذوى الجيل الواحد •

وتعتبر الجامعة هى المجال الوحيد الذى تتوقع فيه ظهور وعى ذاتى بين الطلاب بوصفهم جماعة اجتماعية متميزة • ولقد اتخذ هذا الوعى الذاتى ـ فى أشد صوره تطرفا ـ وجودا واقعيا من خلال الشعار الذى رفعه الطلاب مؤخرا وهو « القوة الطلابية » وفى الحالات التى كانت فيها الجامعة طرفا أساسيا ، لوحظ أن احتجاجات الطلاب كانت أكثر شمولا وتناولت قضايا سياسية عامة كما هو الحال فى جامعات بيركلى بأمريكا ، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بلندن ، ووست برلين بالمانيا ، ووارسو ببولندا ونانتير بفرنسا • وعلى الرغم من وجود اختلافات ملحوظة بين هذه الدول ، الا أن حيوية الحركة الطلابية فى كل مكان تعتمد ـ الى حد كبير ـ على قدرتها على التعبير عن الاستياء الوطنى الذى لا يجد له متنفسا آخر • ويبدو ذلك أوضح ما يكون فى الولايات المتحدة ، حيث نجد الطلاب يقودون مظاهرات ضد الحرب الفيتنامية والفقر واستغلال الزنوج • وفى تشيكلوسوفاكيا وبولندا نجد الطلاب أيضا يلعبون دورا هاما فى عمليـة النضال من أجـل مزيد من الحرية السياسية والثقافية ؛ ثم نجـدهم فى

فرنسا يتمردون ـ وعلى نحو جماعى ـ ضد التسلطية التى استند اليها نظام شارل ديجول ٠

ان قدرة جماعة راديكالية على قيادة أعداد كبيرة من الطلاب للقيام بحملات من أجل بعض القضايا السياسية الوطنية ، تتوقف بدورها على قدرة تأثير هـذه الجماعة داخـل الحرم الجامعى وما يرتبـط بذلك من مشكلات تتعلق ببناء الجامعات وأساليب ادراتها ٠ ويعـود النجاح الذى حققه الطلاب فى هـذا المجال الى أنهم قـد طالبوا بايجـاد ضـرب من المساواة أو المشاركة قـد يبدو ملائما تماما للجامعة كمؤسسة علميـة ٠ ويمكننا أن نجد ترديدا لهذه الأفكار داخل حركة « القوة الطلابية » (وهى تسميـة تعبر عن مطامح متنوعة) ، كما أن درجة المشـاعر التى تثيرها (أى الأفـكار) يتوقف ـ بطبيعة الحـال ـ على طبيعة البنـاء الجامعى الذى يوجهـه الطلاب ٠ ففى أمريكا الشمالية (سواء الولايات المتحـدة أو كندا) نجـد مجالس ادارات الجامعات تضم ـ فى معظمها ـ عـددا كبيرا من الأعضـاء غير الأكاديميين ، وتلك نقطة أشار اليهـا ثورشتاين فيبلن Veblen فى سخرية وازدراء قبـل نصف قرن من الزمان فى معرض كتابة عن «التعليم العالى فى أمريكا» .The Higher Learning in America ولقد طالب الطلاب وهيئات التدريس بضرورة احـداث تغييرات فى هذا المجال على نحـو يحقق مزيدا من الاستقلال الاكاديمى والادارة الذاتيـة٠ وتحاول بعض القيادات الطلابيـة الراديكالية مناقشة هـذه القضايا من زاوية أكثر تخصيصا ، حينمـا تذهب الى أنه مع التسليم بالعرف الذى بجعل الأكاديميين يسيطرون على الأمـور اليوميـة الحساسة كالمقررات الدراسية وتعيين هيئـات التدريس ٠٠٠ الخ (برغم أن مجلس الجامعة ورئيسها يحتكرون ما تبقى من سلطات فى هـذا المجـال) ، مع التسليم بذلك كله فان المشاركة فى ادارة الجامعـة لا تزال مقصورة على جماعة صغيرة من كبار الأساتذة والاداريين ، وأن الروح الرئاسية البيروقراطية ماتزال تسيطر على الادارة الجامعية ٠ لذلك نجـد هذه القيادات تطالب بتدعيم الروح الديموقراطية داخـل الجامعات ٠ ولقـد عبر توم هايدين Hayden عن هـذه الآراء ونشرها ضمن منشورات « تحالف الطـلاب الراديكاليين » بعنون « اعرف القوة الطلابية » يقول هايدين :

« ان زمالة الطـلاب هى زمالة أفراد متساوين · فليس لأى منهـم الحق فى تجاوز الحقيقـة ، على الرغم من أن البعض قديبدو أرجح عقلا أو أعمق ثقافة أو أكثر معرفة ·

ولأن الجامعـة تتمتع بوجود قوى وتتولى الوظيفة التعليمية ، فان المسئولية الأساسية للطلاب تتمثل فى توجيه الجامعة فى هذا الاتجاه · ولأن التعليم عملية ليست ذات اتجاه واحـد ، ولأن التقاليـد الجامعية يجب أن تتلاءم مع النظـرة الجديدة للشباب ، ولأن الديموقراطية تتطلب رقابة شعبية للقرارات الهـامة ؛ لذلك كله فان من المهم أن يشارك الطلاب الأساتذة فى تطوير جامعتهم » · ص ٥٠ ·

ولقد انتشرت هذه المثاليات والأفكار انتشارا كبيرا داخل الحركات الطلابية خلال السنوات الأخيـرة ، كما حاول البعض تطبيقها فى مواقف مختلفة · ففى فرنسا شنت المعارضة الطلابية هجـوما شديدا على تحكم موظفى وزارة التربيـة والتعليم وكبار الأساتذة فى الادارات الجامعية · وفى تشيكوسلوفاكيا وبولندا هاجم الطلاب سيطرة كبار رجـال الحزب الشـيوعى على مجـالس ادارة الجامعـات · أمـا فى بريطانيـا فان الاحتجاجات الطلابية كانت أقـل راديكالية ؛ لأن الجامعات تتمتع بقـدر ملحوظ من الادارة الذاتيـة الأكاديمية ، وان كان ذلك لاينطبق على كل معاهد التعليم العـالى · ومع ذلك ففى بريطانيا ـ شأنها فى ذلك شـأن الدول الصناعية الأخرى ـ نجـد المعارضة تنصب على التحكم الخارجى المباشـر فى مجالس الجامعات من خلال الأعضـاء المعينين من الخارج بحكم مناصبهم والسياسيين وكبـار الموظفين الحكوميين · ولقـد حاولت بعض الجماعات الطلابيـة مواصلة هـذه المعارضة بتوجيه الانتقادات للقيود غير المباشرة ـ وعلى الأخص الاقتصادية ـ المفروضة على الادارة الذاتية الأكاديمية · كذلك سعت هـذه الجماعات الطلابيـة الى تطوير فكرة « الجامعة الديمقراطية »ومنحها مدلولا واقعيا لكى تكون بديلا عن التصورات التى تؤكد دور الجامعة «كمصنع للمعرفة » · وربما كانت هذه المحاولات أحـد المعانى الممكنة التى يمكن أن يشير اليهـا تعبير « القوة الطلابية » · ففى النشرة التى أصدرها « تحالف الطلبـة الراديكاليين »

والتى اقتبسنا منها العبارات التى أشرنا اليها قبل قليل ، نجد اقتراحات تطالب بأن يكون الأساتذة أقل تأييدا للواقع القائم ، وأن يتبنوا وجهات نظر اجتماعية وأكاديمية أكثر راديكالية من تلك التى يتبناها طلابهم · وأعتقد أن من الصعب التسليم بما تذهب اليه هذه القيادات الطلابية ، خاصة وأننا نجد من بين كبار الأساتذة من يتخذ مواقف راديكالية أمثال هيربرت ماركيوز Marcuse ورايت ميلز Mills ·

والواقع أن فكرة « الجامعة الديموقراطية » ماتزال بحاجة الى مزيد من التحليل الدقيق ، خاصة وأنها قد ظهرت فى اطار النقد الشديد الذى وجهه الطلاب الى الطابع التسلطى البيروقراطى الذى يسيطر على الادارات الجامعية ، فضلا عن التحكم الذى يمارسه بعض الاعضاء الخارجيين فى الشئون الجامعية من أمثال رجال الأحزاب وكبار موظفى الحكومة · والواقع أن الجامعة بحكم تكوينها تتيح ـ فى كثير من الاحيان ـ ظروفا استثنائية لممارسة الديموقراطية : فثمة مساواة جوهرية بين أعضائها ، كما أن طبيعة العمل الجامعى يتيح فرصة تحكيم العقل والابتعاد عن ممارسة القهر · ان البت فى بعض الشئون الجامعية كالمنح الدراسية والاكتشافات العلمية يوحى بأن الديموقراطية الجامعية ليست من ذلك النوع الذى يتطلب تمثيل أو موافقة الأغلبية · بل ان من الصعب فى بعض الأحيان خلق الظروف الملائمة لممارسة العمل الجامعى كالمناخ الحر الذى يسمح بتبادل الرأى ، ووجود مجتمع فكرى مثالى ، وأسلوب معين للعلاقات الشخصية · لذلك كله يصبح مفهوم « الجامعة الديمقراطية » مفضلا الى حد كبير · وربما كان من الأفضل استخدام بعض العبارات كالادارة الذاتية الاكاديمية ، والمشاركة داخل المجتمع الطلابى · وأعتقد أن مثل هذه العبارات قد تكون أكثر اتساقا مع عبارات توم هايدين Hayden السالفة الذكر والتى أكد فيها ضرورة أن تتولى هيئات التدريس الادارة الكاملة للجامعات ، وأن يتولى الطلاب ادارة أنفسهم فى كل المجالات المتعلقة بهم ، والتى قد لا تؤدى الى مشكلات ذات طابع فكرى ، وأن يشارك الطلاب ـ دون ان يحكموا ـ فى صياغة السياسة التعليمية · والواقع أن الحركة الطلابية قد نجحت ـ الى حد

كبير – فى تحقيق هـــذه الأهـداف وعلى الأخص فيمـا يتعلق بسيطرة الأعضـاء غير الاكاديميين عن الادارات الجامعيـة · ومن الطبيعى أن يتفق الطلاب فى هـذا المجال مع الغالبيـة العظمى من أعضاء هيئـات التدريس فى الجامعات ·

وهنـاك ارتباط وثيق بين الجوانب الثـلاث التى تمثلهـا الحركة الطلابية بوصفها حـركة راديكالية جديدة ، وتعبيـرا عن جيـل جديد ، وتجسيدا لجماعة من جماعات المصلحة داخل الجامعـة · ومن الطبيعى أن تؤثر القضايا التى تثار فى كل جانب على الجوانب الأخرى : فالحرب والاعداد لهـا – وهى من موضـوعات الاحتجاج السياسى – يؤثر على الجامعات التى تتولى بدورها تطوير بعض الأساليب التكنولوجية للحرب من خـلال البحوث التى تجريهـا · ويبدو أن هنـاك شبها واضحا بين بعض المشـكلات التى يطالب الطلاب بحلها من ناحيـة والجوانب الثلاث التى تمثلها الحركة الطلابية · مثـال ذلك وجـود البناءات ذات الطابع التسلطى البيروقراطى التى تحـول دون مشـاركة الأعضـاء وتحملهم مسئولياتهم · وبسبب هـذه العـلاقات المتداخلة ، فان التطورات المقبلة للحركة الطلابية سوف تتوقف – الى حـد كبير – على الأحداث السياسية العامة · فبنهاية حرب فيتنام ستفقد الحركة الطلابيـة قدرا من جاذبيتها ونفـوذها وعلى الأخص فى الولايات المتحـــدة · أما فى معظم الـدول الأوربية فان الطـلاب سوف يشكلون « جمـاعة نشطة » داخـل حركات اجتماعية راديكالية كبيرة ؛ بينما قـد تشكل الحركة الطلابية فى الولايات المتحـــدة نواة حزب راديكالى جـديد ، على الرغم من أن الدلائل التى تشير الى ذلك ليست مشجعة ، خاصة اذا ما أخـذنا فى الاعتبار ما حدث فى « مؤتمر السياسة الجديدة » الذى عقـد خلال العام الماضى · وأعتقد أن أهم وظيفة يمكن أن تؤديهـا الحركة الطلابيـة فى كل مكان هى خلق جيـل جديد من المفـكرين الراديكاليين ، وأن من الصعب الحـكم على انجازاتها فى هذا المجال قبل مرور عقد على الأقل ·